

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

د. بوبكر العربي¹

¹ جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)، laaribi.boub@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/05 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/09/20

ملخص:

شكّل عصر التيموريين "تيمورلنك وخلفاءه" إحدى أهم فترات التاريخ الإسلامي، وبالرغم من المأساة التي لحقت بالعالم الإسلامي ومنها كثرة الحروب خاصة في عهد تيمورلنك، ورغم ما كُتب عن هذه الفترة التاريخية من خلال المصادر التاريخية، سواء العربية أو الفارسية، إلا أن المصادر الأثرية تعتبر مادة هامة في كتابة تاريخ هذه الفترة وذلك من خلال، الكتابات الأثرية الموجودة على مختلف العماثر، والكتابات المتنوعة على التحف المعدنية. وفي هذا المقال سأحاول إبراز بعض تلك الشواهد التي تؤرخ لتلك الفترة الهامة من تاريخ المسلمين، والتي مازال بعضها إلى اليوم قائما في آسيا الوسطى عامة وفي عاصمتا التيموريين سمرقند، وهرات. كلمات مفتاحية: تيمورلنك، الأضرحة، التحف المعدنية، العماثر التيمورية، سمرقند.

Abstract:

The era of timurids, Tamerlane and his successors, constituted one of the most important periods of Islamic history, and despite the tragedy that befell the Islamic world, including the many wars, especially during the era of tamerlane And despite what was written about this historical sources, Arab or persian the Period through historical sources' whether Arab Persian 'but the archaeological sources it is considered an important material in writing the history of this period, through

archaeological writings found on various buildings, and the various writings on metal artifacts.

In this article I will try to highlight some of those evidences that date back to that important period of muslim history, some of which still exist today in central asia in general and in the timurid capitals Samarkand and herat

Keywords: Tamerlane, mausoleums, metal artifact, timurid buildings. samarkand.

1. مقدمة

تعتمد الكتابة التاريخية على الكثير من المصادر المادية، سواء المكتوبة، كالخطوط، والدفاتر والسجلات والمعاهدات، وغيرها من العناصر التي يحتاجها المؤرخ ليكتب التاريخ، لأن التاريخ يعتمد على المصادر، فلا تاريخ بلا مصادر، كما يمكن للمؤرخ أن يعتمد على المصادر الأثرية ليستند عليها في كتابة التاريخ، ومنها ما هو موجود في العمائر المختلفة، والتحف المعدنية وغيرها، وعلى هذا الأساس فان تاريخ التيموريين وهم سلالة مغولية، حكمت أجزاء من آسيا الوسطى في الفترة بين، فان المصادر الأثرية كثيرة لكتابة تاريخ التيموريين من خلال تلك الشواهد والنقوش والكتابات المتنوعة التي يمكن استنطاقها من مختلف هذه العناصر.

2. المغول: نتج عن زحف المغول¹، الذي ابتلي به العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، القرن الثاني عشر الميلادي تحولات كبرى أصابت العالم الإسلامي

¹ مجموعة من القبائل المختلفة التي سكنت هضبة منغوليا، يطلق عليها الشعوب الاستبسية، وهم خليط من القبائل، المغولية والتركية والايغورية، والتتارية، هم قبائل كثيرة منها، النايمن، الكرايت، والايغور، والقرغيز، والتتار، تعد قبيلة قيات أشهر قبيلة مغولية، لأن كان لها الدور الرئيسي في توحيد القبائل المغولية، بعد أن توحدت على يد مؤسس الدولة المغولية جنكيزخان في القرن 7هـ، 13م، ينظر: محمد أسد الله، صفا، جنكيزخان الوحشي النابغة، ط1، دار النفائس، 1988م. وايض: لام هاولد، جنكيزخان وجحافل المغول، تر، مترى امين، دط، دم ن، 1962م.

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

في الصميم، فزيادة على حجم الخراب والدمار الذي ألحقه المغول بالبلاد الإسلامية، في آسيا الوسطى عامة، و في بخارا وسمرقند خاصة².

حيث تعرضت المدن الإسلامية للنهب والتدمير والقتل البشع، حتى ان أشهر مؤرخي تلك الفترة، عز الدين ابن الأثير³، صاحب كتاب الكامل في التاريخ، ظل مترددا في كتابة تلك الحوادث، خاصة حوادث سنة، 616هـ، 617هـ، لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كآرها لذكرها، فمن ذا الذي يسهل ان يكتب نعي الإسلام والمسلمين⁴، ويزيد صوفا لحال المسلمين الذب دب العجز والهوان في قلوبهم حتى عجزوا عن الدفاع عن أنفسهم قائلا " وبلغت أن امرأة من التتار دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها، وهم يظنونها رجلا، فلما وضعت السلاح وإذا هي إمراة فقتلها رجلا أخذته أسير، وسمعت أن رجلا من التتار دخل دربا فيه مئة رجل فمازال يقتلهم واحداً واحداً"⁵.

بصفة عامة فإن هذا الوصف الدقيق الذي عبر عن أحد مؤرخي تلك الفترة إنما يعبر من جهة عن حالة الهوان التي لحقت بالمسلمين من جهة، ومن جهة أخرى عن شراسة ووحشية المغول.

² للمزيد عن مدينة سمرقند، ينظر: فيتاي نومكين، سمرقند، تر، صلاح صلاح، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، 1996م.

³ أبو الحسن عز الدين بن الأثير عاش بين، 555هـ، 629هـ، 1160م، 1233م، أشهر مؤرخي المسلمين، في كتابة التاريخ على طريقة الحولية عاصر الغزو المغولي، وكتب بشكل واسع عن حملات المغول للبلاد الإسلامية، ويعتبر المصدر الأساسي الذي نقل منه الغرب تاريخ المغول له عدة مؤلفات منها التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، أسد الغابة في معرفة الصحابة، اللباب في تهذيب الأنساب، وأشهر مؤلفاته هو الكامل في التاريخ الذي يضم 12 مجلدا انتهى به عند حوادث حوادث 629هـ، وعن نقل الغرب فيما يتعلق بتاريخ المغول.

⁴ عز لدين أبو الحسن بن عبد الكريم محمد بن عبد الواحد بن الأثير، الكامل في التاريخ، تح، عبد السلام تدمري، ج6، دار الكتاب العربي، 1427هـ، 2006، ص، 333.

⁵ نفسه، ص، 348.

د. يوبكر العربي

لم يتوقف الزحف المغولي في آسيا الوسطى بل استمر إلى أن سقطت عاصمة الخلافة بغداد على أيدي هولاكو سنة 656هـ، 1258م، وأصبحت بذلك أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية تحت سلطة المغول، ونشأت في البلاد الإسلامية دول وإمارات مغولية كان أبرزها تلك التي أنشأها هولاكو وأحفاده من بعده في إيران وأطلق عليها إيلخانية فارس، أو دولة الايلخانيين⁶.

3. المعتقد:

ظلت الشعوب المغولية على معتقداتها الوثنية القديمة وهي خليط من المعتقدات القديمة كتب ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ متحدثاً عن ديانة المغول قائلاً "...وهم مع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت، ولا يحرمون شيئاً ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات الميتة"⁷

أما المؤرخ القزاز، يذكر ديانتهم كما يلي، كانت الديانة الرسمية للمغول الشامانية، التي تتمثل في عبادة مظاهر الطبيعة، خاصة الشمس، وتمتاز بالطاعة العمياء للكهنة⁸.

أما المؤرخ ارنولد عن ديانة المغول قائلاً، "كانت الشامانية الديانة القديمة للمغول، حيث كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامي"⁹.

أما المؤرخ الباز العريني فكتب في ذلك قائلاً: "...فكان المغول طبقاً للعقائد الشامانية يعبدون كل شيء يُسمو على مداركهم، وكل ما يرههم ويدخل الخوف في

⁶ لقب اطلق على دولة المغول في ايران، وهي الدولة التي انشأها هولاكو، وتبعه خلفائه من بعد، بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، للمزيد، ينظر:

عبد السلام عبد العزيز فهي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دط، دارالمعارف، الإسكندرية، 1981م.
إبن الأثير، الكامل في التاريخ، مر، وت، محمد يوسف الدقاق، ج10، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص، 40⁷

8 محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م، ص، 11.

⁹ ارنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، تر، إبراهيم حسن وآخرون، ط1، مكتبة النهضة العربية، 1970، ص، 215.

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

قلوبهم، فلمهم آلهة متعددة، منها إله الجبل ، إله الشجر ، إله الرعد، إله البرق¹⁰، وفي مجمل القول فإن المعتقد الأول للمغول كان الديانة الشامانية، التي ظلت إلى وقت طويل المعتقد الرسمي للمغول.

لم يبق الأمر على حاله ورغم الصورة القاتمة الي رافقت دخول المغول إلى البلاد الإسلامية، إلا أنهم سرعان ما تحولوا إلى الإسلام، وكان أول من أعتنق الإسلام منهم مغول القبيلة الذهبية، وكان ذلك بعد أن إعتنق بركة خان الإسلام وكان ذلك سنة 650هـ، 1254م¹¹.

الأمر نفسه عرفه مغول إيران رغم أنه أخذ وقتاً أطول، إلا أنهم توحدوا إلى الإسلام، بعدة أن أسلم أحمد تكودار، إلا أن إسلامهم ظهر جلياً خاصة بعد أن أسلم محمود قازان سنة 694هـ، 1295م¹². وكان إسلامه حدثاً عظيماً، وكان بذلك أول من دعى إلى نشر الإسلام بين المغول وأصبح الإسلام الدين الرسمي للدولة، بعد أن أقر الإيلخان محمود قازان ذلك، وقام خلال ذلك بالقيام بعدة أعمال كبناء المدارس والمساجد ودور الإيتام وعمل جاهداً على نشر الإسلام بين رعاياه¹³، وكان لهذا التحول الكبير نحو الإسلام، أثر بالغ على معظم القبائل المغولية، أو مختلف المغول الذين حكموا خاصة في آسيا الوسطى.

4. التيموريون: منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، حكمت سلالة مغولية أخرى منطقة آسيا الوسطى، والذين عرفوا

¹⁰الباز العربي، المغول، دار النهضة العربية، 1406هـ، 1986م، ص. 43.

¹¹محمود الرمزي، تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان والبلغار وملوك التتار، ط1، مج1، دمن، 1908، ص، 414.

¹²فؤاد عبد المعطى الصياد، محمود قازان واعتناقه الاسلام، القاهرة، 1979م، ص413، وأنظر أيضاً

صبيح عبد النعم، المغول والممالك السياسة والصراع، ط1، دار الكتاب العربي، 2000، ص، 33.

¹³الصياد، محمود قازان، ص، 413.

د. يوبكر العربي

بالتيموريين نسبة إلى مؤسس دولتهم تيمورلنك¹⁴ ، وهي عند الكثير من المؤرخين امتداد لسلالة المغول التي ظهرت في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، أتخذ تيمورلنك من سمرقند عاصمة له، وبعد ذلك صارت هراة عاصمة التيموريين خاصة في عهد السلطان شاهرخ، وامتد حكم السلالة التيمورية في اسيا الوسطى من 771هـ، 911هـ، 1370م، 1507م،

5. المصادر الاثرية وأثرها في كتابة تاريخ التيموريون:

تعددت المصادر التاريخية التي كتبت عن التيموريين خاصة المصادر العربية والفارسية، وبعض كتابات الأوروبيين، وهناك من سمحت لهم الظروف أن يزورا المنطقة ويكتبوا عنها، ومنهم على وجه الخصوص السفير الإسباني غزالييس دي كلا فيجو الذي زار المنطقة وحظي بلقاء تيمورلنك، رغم أن تاريخ العصور الوسطى عامة يعتمد بشكل خاص على المخطوطات إلا أن هذا لا يمنع من العودة إلى المصادر الأثرية ، خاصة الكتابات على العمائر والعملات ومختلف التحف الفنية.

5.1. الشواهد المعمارية:

تعد العمارة أهم مظهر من مظاهر الحضارة، لذلك تسابق السلاطين والأمراء على تخليد مآثرهم وأسمائهم، وكذلك فعل التيموريين، خاصة في كتابة أسمائهم على الأضرحة والقبور، وكذلك فعلوا في المساجد والمدارس حيث ظهرت كتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي ظهرت واضحة في مسجد

¹⁴-تعتبر الكثير من المصادر التاريخية أن التيموريين هم سلالة مغولية، وإن كان البعض يرى فيهم عكس ذلك، وحتى وإن كان ذلك فإن المغول والترك يرجعون إلى أصل واحد خاصة في ظل تشابه المظاهر الفيزيولوجية، كما أن ثلاثة أرباع اللغة مشتركة، أول من أسس دولة التيموريين هو تيمورلنك، أو تيمور الأعرج منذ سنة 771هـ، 1370م، وأتخذ من سمرقند عاصمة ملكه. وأستطاع خلال فترة حكمه أن يسيطر على أجزاء واسعة من أسيا حتى حدود الصين التي كان طامحا فيها لولا المنية التي سبقته عند مدينة أترار، وقد حكم بعده خلفاءه كان أشهرهم إبنه شاهرخ وحفيده ألغ بك، وآخر التيموريين حسين بايقرا، وانتهت دولتهم سنة 911هـ، 1507م بعد أن خلفوا أثارا هامة في العمارة والفنون والعلوم. ينظر:

محمد اسد الله صفا، تيمورلنك ، ط1، دار النفائس، 1410هـ، 1990م، وايضا:

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

بيي هانم الذى بناه تيمورلنك تخليداً لزوجته المفضلة بيي هانم، وهو من أهم المعالم التاريخية الإسلامية في المنطقة، تحوى جدرانه المزينة بمختلف أنواع الفسيفساء، أنواع متعددة من الكتابات الجدارية لمختلف الأحاديث والآيات القرآنية، التي من خلالها يقرأ تاريخ المنطقة وطبيعة التطور الحضاري التي وصلت عليه، ونفس الأمر يتضح في مسجد جوهر شاد زوجة السلطان شاهرخ الذي استخدمت المهندس قوام الدين الشيرازي في بناءه الذي يعتبر من بين أشهر مهندسى عصره. المسجد عبارة عن تحفة فنية معمارية أية في الجاذبية والإتقان، حيث كسيت واجهته بمختلف الخطوط والألوان، وكان أبرز الخطوط الخط العربي خاصة الكوفي منه الذي كتبت به مختلف الآيات والأحاديث القرآنية، وعلى أرضية زرقاء وبحروف بيضاء نقش إهداء الملكة الذي جاء فيه ما يلي "...شمس الطهارة والعفة جوهر شاد خلد الله عظمها وأدام طهارتها من مالها الخاص، ولخير آخرتها، ومن أجل اليوم الذي يحاسب فيه المرء على ما قدمت يداه، تقرباً إلى الله وشكراً له سبحانه، شيدت هذا الجامع العظيم، هذا البيت المقدس في عهد السلطان المعظم شاهرخ..."¹⁵.

كما نجد بعض الكتابات الأثرية على بعض المدارس، ومنها المدرسة التي شيدها الغ بك في سمرقند وكتب على إحدى جدرانها، "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"¹⁶، يتضح من خلال الكتابات الأثرية المتنوعة التي كتبت على مختلف العمائر من مدارس ومساجد وأضرحة أنها تؤرخ لمرحلة هامة من تاريخ العالم الإسلامي، ومن خلال تلك الشواهد يمكن قراءة تاريخ وحضارة المنطقة في عصر التيموريين.

¹⁵ عبد الستار محمد فيض، المساجد والأثار الإسلامية في آسيا الوسطى، مجلة الوعي الإسلامي، عدد، 153،

رمضان، 1397هـ، ص، 112

¹⁶ بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، تر، حمزة طاهر، ط4، دار المعارف، دت، ص144

لما كانت الشواهد الأثرية مادة أساسية يعتمد عليها المؤرخين في كتابة التاريخ خاصة الجوانب الحضارية منه، باعتبار أن العمارة وتنوعها ظلت عبر مراحل التاريخ كلها تستعمل كعنصر فاصل بين الفترات التاريخية، وبطبيعة الحال فإن عصر التيموريين، يمكن كتابة جزء منه من خلال العودة التي تلك الشواهد الأثرية الموجودة على الأضرحة والقبور والقصور والمساجد.

5.2. الكتابة على المعادن: تعد الكتابة على المعادن عنصراً هاماً في قراءة تاريخ التيموريين، خاصة من خلال الرجوع إلى بعض الكتابات الشعرية والدعائية التي وجدت على مختلف المعادن والعملات¹⁷، وتكمن أهمية هذه الكتابات التاريخية في أهمية صانعيها، أو أهمية الأشخاص الذين كتبت لهم، وبطبيعة الحال يمكن أن تكون هذه الكتابات مادة أساسية في كتابة تاريخ التيموريين على طول الفترة الزمنية الممتدة ما بين 771هـ، 911هـ، (1370م، 1507م).

كُتبت مختلف العبارات الدعائية في العصر التيموري على مختلف التحف المعدنية مثل "السلطانيات و الصواني والقدور والآباريق، والأطباق، ومختلف الأدوات الحربية كالدرع والسيوف، ورغم أن هذه الكتابات كانت منتشرة إلا أنها ظلت أقل إنتشاراً من الفترة السلجوقية¹⁸.

نجد في بعض الكتابات العبارات الخاصة بالطعام بعضها باللغة الفارسية وبعضها باللغة العربية، ومنها ما وجد على بعض الأواني ومنها "يارب تهى مباد أز نعمت ياك"¹⁹، وترجمته إلى اللغة العربية يارب لا تجعله فارغاً من نعمة ظاهرة، وهي دعوة إلى الله بأن يبقى ذلك الإناء مملوءاً بالطعام الطيب دائماً.

¹⁷ شبل إبراهيم عبید، الكتابات الأثرية على المعادن في العصرين التيموري والصفوي، ط1، دار القاهرة للكتاب،

2002م، ص. 44.

¹⁸ نفسه، ص. 44.

¹⁹ نفسه.

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

كما نجد بعض الكتابات تحمل عبارات الدعاء لصاحب التحفة، وكان ذكر الأمراء التيموريين، مثل تيمورلنك، وشاهرخ، وألغ بك وغيرهم، ومن العبارات التي كتبت: "عز لمولانا قطب الدنيا والدين، تيمور كوركان، خلد الله ملكه"²⁰، كما نجد مثل هذه العبارات وجدت على بعض العُمَلات مثل العبارة التي وجدت على عملة من الفضة تُمجّد تيمورلنك، "أمير تيمور كوركان خلد الله ملكه وسلطانه"²¹.

كما نجد بعض العبارات الدعائية للسلطان شاهرخ على عملة تيمورية جاء فيها، "السلطان المعظم شاهرخ بهادر، خلد الله ملكه وسلطانه"²².

كما نجد بعض الآبيات والعبارات الشعرية، نظرا لكون الشعركان من أكثر مجالات الإبداع في التراث العربي والفارسي، حيث وجدت عدة كتابات شعرية على بعض التحف المعدنية، ومثال ذلك ما ورد على إبريق من النحاس المطعم بالفضة مؤرخ سنة 860هـ، 1461م، حيث وجدت بعض الأشعار باللغة الفارسية، والبعض الآخر باللغة العربية، ومحتوى البيتان الشعريان هو كما يلي.

"لصاحب السعادة والسلامة وطول العمر ناحت حماسة
وعز دائم لا ذل فيه وإقبال دائم إلى يوم القيامة"²³.

كما كتبت على بعض الآواني النحاسية والتحف المعدنية بعض الألقاب الفخرية للأمراء والسلطين التيموريين، وكلها تعبر عن سلطة ومكانة وسلطة ونفوذ الشخص المراد تخليده وذكره، ومنها كلمة بهادر²⁴، التي وردت على قاعدة شمعدان تمجّد السلطان حسين بايقرا، كما نجد عبارة

²⁰ نفسه.

²¹ نفسه.

²² نفسه.

²³ نفسه.

²⁴ كلمة مغولية، تعني الشجاع أو الباسل، للمزيد انظر، رائد عبد الرحيم، ألفاظ فارسية في أدب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه، 648هـ، 803هـ، مجلة الوعي، جامعة النجاح للأبحاث والعلوم، مج 22، عدد، 4، 2008م.

د. يوبكر العربي

كوركان، وهو لفظ أعجمي أضيف لسلسلة الآلقات التي لقب بها تيمورلنك، وقد ظل هذا اللقب مقتصرًا على تيمورلنك دون غيره من أفراد العائلة التيمورية، وقد ورد هذا على قاعدة شمعدان من النحاس الأصفر يعود إلى القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي بصيغة "قطب الدين والدنيا، أمير تيمور كوركان، خلد الله ملكه".

إن شيوع فن الزخرفة على التحف المعدنية في العصر التيموري، إنما يعود بشكل خاص إلى التأثيرات الإيرانية القوية التي عرفها عصر التيموريين في مختلف الفنون والثقافات.

وقد أشرت في مواضع متعددة من هذا المقال أن حضارة التيموريين أخذت بشكل واسع من التراث الفارسي الذي أسهم بشكل قوي في تراث الحضارة الإسلامية، أما عن انتشار الزخرفة الإيرانية على مختلف التحف والمعادن والأواني المختلفة إنما يعود إلى نهاية القرن السادس الهجري، وبداية القرن السابع الهجري، نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وبداية القرن الثالث عشر الميلادي²⁵، حيث أنتشر هذا الفن على نطاق واسع، كما أن الكثير من المتاحف العالمية تعج بأنواع متعددة من التحف المعدنية التي تعود إلى تلك الفترة.

تعد إيران أو بلاد فارس من أكثر المناطق التي نالت شهرة واسعة في صناعة التحف المعدنية قبل الإسلام وبعده²⁶، ويعود ذلك لوفرة مناجم النحاس والفضة والقصدير، وقد شهد عصر التيموريين استمرار عملية الإهتمام بإستخراج هذه المعادن وإستعمالها في مختلف التحف الفنية، إذ يعد العصر التيموري من أزهي

²⁵ إيمان محمد إبراهيم عرفة، الحياة الثقافية في بلاط السلطان حسين بايقرا، رسالة ماجستير، كلية الآداب،

جامعة القاهرة، 1987م، ص، 74.

²⁶ معوض احمد، ألوان من الشعر الفارسي، ط 1، القاهرة، 1982م، ص، 169.

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

العصور الإسلامية في إنتاج المعادن، التي إمتازت باناقة والذوق والجمال²⁷، وذلك من خلال تعدد الأشكال الهندسية والزخارف المتنوعة التي إنتهت إلى تشكيل أنواع من التحف تحمل الكثير من الأشعار والعبارات الدعائية والاجتماعية وحتى بعض الأدعية.

إعتمد فيها الفنان التيموري على ما ورثه من أسلافه إلا أن زاد عملية الإنتاج جمالا ودقة، وقد إعتمد الفنان التيموري على أسلوبين في إنتاج مختلف التحف وذلك بالاعتماد على:

-أسلوب التكفيت: هو عملية تطبيق وتطعيم التحف المعدنية بالذهب والفضة والنحاس الأصفر، وهو أسلوب فني نشأ عند الصانع المسلمين في إيران والجزيرة العربية²⁸.

بلغ درجة الدقة والإتقان في منتصف القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وإزدهر على نطاق واسع في عصر التيموريين، أما عملية التكفيت فتتم بعد أن تتم عملية رسم الزخارف الكتابية المطلوبة على التحفة المعدنية²⁹، إذ تحفر هذه الرسوم حفرا عميقا بالة حادة تملأ المناطق المحفورة بمادة معدنية تكون أعلى قيمة من المادة الأصلية التي صنعت منها التحفة، أما عملية الكفت فتكون على طريقتين، إما عن طريق رقائق تستعمل في تغطية المناطق الكبيرة والعريضة، أما الثانية فهي عبارة عن إستعمال أسلاك رقيقة لتغطية وزخرفة

²⁷ زكي محمد حسن، فنون الاسلام، ط1، القاهرة، 1984م، ص، 530.

²⁸ عرفة ايمان، مرجع سابق، ص، 74.

²⁹ حسين عبد الرحيم عليوة، الكتابات الأثرية العربية دراسة في الشكل والمضمون، ط1، القاهرة، قدت،

حاشية، 53، ص، 43.

حسين عبد الرحيم عليوة، المعادن، إشراف حسن الباشا وآخرون، القاهرة تاريخها فنونها وأثارها، القاهرة، 1970م، ص، 374.

د. يوبكر العربي

الأجزاء والكتابات الضيقة، وتتم عملية إنزال المادتين في كلتا العمليتين وفق أسلوب الدق³⁰.

طريقة الحز: يتمثل هذا الأسلوب في استعمال طريقة الحز عن طريق إحداث نقوش كتابية خفيفة في التحفة المعدنية وفق الرسم والشكل والكتابة المطلوبة وذلك عن طريق استعمال آلة مدببة³¹، يتم بواسطتها إحداث نقوش على المعدن ومن ثم يتم كتابة ما يريد الفنان أن يحدثه على تلك التحفة.

عمل التيموريين على تطوير مختلف الزخارف ، يمكن أن نذكر عنصرا آخر من عناصر الزخرفة المتمثل في الزخرفة الجدارية ، خاصة وأن هذا الفن ارتبط بعنصر أساسي يتمثل في تطور العمارة التيمورية التي حرص السلاطين التيموريين على الاهتمام بها ورعايتها خاصة في عهد تيمورلنك وحفيده ألغ بك³².

ما يمكن الإشارة إليها أن الزخرفة الجدارية في العصر التيموري ارتكزت على عناصر الزخرفة التي عرفها السلاجقة وبعدهم المغول ، خاصة بعد أن اعتنقوا الإسلام في عهد الإيلخانيين في إيران، حيث ظهر تجديد في أسلوب الزخرفة حيث شاع في هذه الفترة استعمال المقرصنات³³، وتعتبر المقرصنات أو ما يُعرف بالديالان وهي عبارة زخارف معمارية تشبه خلايا النحل تكون مُدلاة في

³⁰عليوة، المعادن، ص، 375.

³¹حنان عبد الفتاح مطاوع، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية ، مصر، دت، ص، 23.

³²ولد الغ بك عام 796هـ، 1393مك، وتوفي عام 853هـ، 1494م، امتد حكمه فترة طويلة ناهزت الأربعين عام حاكما لبخارى وبلاد كاشغر وسمرقند وفرغانه وأجزاء من مقاطعة سيحون، حكم من 812هـ إلى 853هـ، أي 1409م، 1449م، منها سنتان خليفة لولده شاهرخ بعد وفاته ورغم طول فترة حكمه أن شهرته العلمية طغت على شهرته السياسية، خاصة وأن عهده عرف الكثير من الاضطرابات خاصة الصراع مع ابنه عبد اللطيف ، الذي قتله عام 853هـ، 1449م، أصدرت الحكومة السوفيتية سنة 1988م، طابعا بريديا تخليدا لذكراه، كما رمت المرصد الفلكي في سمرقند، اعترافا له بجهده العلمي في الفلك والرياضيات، ينظر: شيرين عبد المنعم، *الغ بك*، مجلة ثقافتنا للفنون، مج 5، عدد18، 14219هـ، 2008م، ص، 147 وما بعدها.

³³نفسه، ص، 23.

المصادر الأثرية ودورها في كتابة تاريخ التيموريين

طبقات مصفوفة فوق بعضها البعض، ويستخدم في الزخرفة الجدارية مبدأ التدرج من خلال الانتقال من شكل لآخر، وعادة ما كان يستعمل هذا النموذج الفني على مختلف العمائر التيمورية.

كما تُستخدم الزخارف الجدارية على الأسطح وفي أسفل حجرات المؤذن وفي المنارات أما في العصر التيموري فإن المقرصنات صارت تمثل بأكثر من خلية مستقلة في عملية البناء، وعلى الرغم من انتشار المقرصنات إلا أن التغطية بالجص صارت من الأساليب المفضلة في العصر المغولي وبعده العصر التيموري، وقد ظهر هذا الأسلوب خاصة في محاريب المساجد والأضرحة³⁴.

أعتمد الفنان التيموري الأسلوب السلجوقي في عملية النحت، وتطور هذا الأسلوب في العصر التيموري بشكل واسع من خلال إنتاج أشكال متعددة بلغ درجة الازدهار حتى الإفراط في العصر التيموري، حتى الزخارف الجدارية واستعمال الجص كسوة جديدة قضت على أشكال الزخرفة القديمة، مشكلة نماذج جديدة يطغى عليها التوافق والانسجام، وتتوزع فيها مختلف العناصر والألوان³⁵.

ويمكن القول أن الزخارف بأساليبها المختلفة سواء النباتية أو الهندسية أو الكتابية أو الجدارية، كان لها دور كبير في تطور الفنون الإسلامية في العصر التيموري³⁶، خاصة بعد أن ساهمت هذه العناصر بشكل أو بآخر من أشكال الإبداع خاصة في ظل حركة التطور الواسعة التي عرفها عصر التيموريين من

³⁴ نفسه، ص، 23.

³⁵ عبد الحميد سعد زغلول، العمارة والفنون في الدولة الإسلامية، دط، منشأة القاهرة، 2004م، ص، 449.

³⁶ عفاف صبرى، نجوى كيري، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسة حضارية، ط1، زهراء الشرق، القاهرة، ص، 287---290

د. يوبكر العربي

خلال بناء مختلف العمائر من مساجد ومدارس وقصور، وأضرحة وكلها يمكن أن تكون مادة تاريخية أساسية في كتابة تاريخ التيموريين.

أما عن انتشار الكتابات المختلفة، الدعائية و الأشعار المتنوعة إنما تعبر من جهة عن حالة الرخاء الإقتصادي والتطور الحضاري الذي عرفه ذلك العصر، ويمكن أن تلخص أسباب ذلك التطور في بضعة أسباب، لعل أبرزها تطور إنتاج مادة النحاس التي اشتهرت به إيران، وهي التي كانت مادة أساسية في الصناعة التيمورية، إضافة إلى ارتكاز التيموريين على إرث الثقافة الفارسية الذي كانت محركا أساسيا لمختلف مظاهر التطور الفكري والفني، حيث إنتشر الأدب والشعر ومختلف العلوم، وكانت تلك الأشعار والعبارات الدعائية إنما تخدم صانعيها، و من جهة أخرى من صُنعت لهم، كما أنها تعد مادة هامة في كتابة تاريخ التيموريين، من خلال ما تحتويه من معارف وأشعار.

لذلك فإن عودة المؤرخ إلى مثل تلك المادة قد يساعده بالقدر الكافي على معرفة تاريخ التيموريين من خلال تلك العمائر المتنوعة أو مختلف التحف المعدنية التي تنتشر في المتاحف العالمية، وربما هو في ذلك في غنى عن كثير من المؤلفات التي لا تفي في الكثير من الأحيان بالمادة التاريخية.

6. الخاتمة:

استخلاصا لما سبق يمكن القول أن الكثير من المصادر الأثرية المنتشرة في آسيا الوسطى خاصة، و التي تعود إلى القرنين، الثامن والتاسع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، المتمثلة في الشواهد المكتوبة على مختلف العماائر سواء الأضرحة والقبور والمساجد والقصور والتكايا، إضافة إلى الكتابات والنقوش المختلفة على الأدوات المعدنية والتحف المختلفة، من أشعار وأحاديث نبوية وآيات قرآنية شريفة، تعد مواد أساسية في كتابة التاريخ، ومنه يمكن قراءة المظاهر الحضارية لتلك الفترة، وعليه تعد هذه المصادر الأثرية مادة مهمة ليس في كتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في آسيا الوسطى، إنما في تاريخ الحضارة الإسلامية كلها، ودائما فان كتابة التاريخ لا تعتمد على ما كتب بخط اليد إنما قد يلجا المؤرخ إلى مثل هذه الشواهد التي يمكنه من خلاله استنطاق التاريخ.